فلما وصلنا اليه ، تأبطت ذراعها واخذت اصعد بها الدرجات ، التي درجوهـا عليها من قبل عشرين عاما ، وانا احسب نفسي عريسا في ساعة الدخلة .

القيت الاعوام العشرين الماضية في صندوق القمامة في ساحة الدرج وصعدت الى المنزل وانا اطير بجناحين من يعاد .

وكنت اهتف : ها نحن نعود عودة المنتصرين !

وكان الجيران يفتحون ابواب بيوتهم محيين ومستفهمين . فكانت تركض الى جانبي وهي ترد التحية وتقول متباهية : عمي بعد غياب العمر !

فأطلقت جارة زغرودة الحقتهـا الجارات الاخريـات بزغاريد متـلاحقة كتلاحق صفارات السفن في ميناء حيفا ليلة رأس السنة .

فلما دخلنا المنزل قالت يعاد وهي مبهورة النفس : استرح ، ايها المنتصر . أمـا انا فأعود اسيرة !

وسألت : لاي شيء زغردت النساء ؟

قلت : لعودتك .

ـ أسيرة ؟

ـ زائرة .

ـ فما يفرحهم ؟

ـ السجناء يحلقون ذقونهم ويتزينون ويفرحون في يوم الزيارة .

قالت : ما هذا وقت الفرح .

ـ حتى فرحة الزيارة تبخلين بها على هؤلاء السجناء ؟

قالت : كيف تأتي الفرحة بنعمة الغازي ؟

فأجبت : كما ينضج الطعام بنعمة النار .

فلما سألتني : من أين أتتك هذه الحكمة ؟

اجبتها : من يوم ما شكسبرني حراس السجن .

وحكيت لها حكايتي معهم وكيف التقيت اخاها في الزنزانة فسمعت منه كلاما جعلني ارى الزنزانة جنة وقضبان الكوة جسرا نحو القمر .

فكانت تضحك تارة وتبكي تارة . وتقول : اخبرني عن يعادك ؟ فأروي لها حكايتنا القديمة . واقول : هنا جلسنا . وهنا ، في هذه الغرفة ، ظللت يا شيطانة مستيقظة تنتظرينني وانا منكتم الانفاس في الغرفة المجاورة ، لانني اهبل ، حتى جاء العسكر .

ـ العسكر يطوقون الدار !

هذا ما سمعته من الجارة ، التي اقتحمت علينا الباب دون استئذان فوجدتني جاثيا على اربع تحت قدمي يعاد امثل وقعتي الاولى عن الدرج ، قبل عشرين عاما ، ويعاد تضحك .

فلم أقم من جثوتي .